Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

نسق النِّسويّة البيئيّة في رواية حديقة حياة للطفية الدليميّ

The Ecological Feminism Pattern in Lutfiya al-Dulaimy 's Novel, A Life garden

أ.د إيمان مطر السُّلطانيّ ، أ.د.م زياد طارق العليّ ، طالبة الدكتوراه رواء جليل الجنابيّ

Prof. Iman Motar al-sultani , Prof. Asst. Ziyad Tariq al-Ali , Student Phd. Rawaa Jaleel al-Janabi .

جامعة الكوفة/كلية التربية للبنات

الملخص:

عُدّت الدراسة البيئيّة (الإيكولوجيّة) حديثاً فرعاً من فروع الدراسات الثقافيّة التي تشعّبت وتشظّت في المجالات الإنسانيّة ، والدراسة الثقافية البيئيّة لم تقف عند الدراسة البيئيّة المحضة (الدراسة العلميّة للأرض وما عليها) ، بل امتدّت لدراسات متنوّعة في علم الاجتماع ، واللغة ، والأدب ونقده ، وقد برزت الدراسات النقديّة البيئيّة في سبعينيات القرن المنصرم ، وهي متأخرة مقارنة بالدراسات الأدبيّة البيئيّة (الكتابات الإبداعيّة المساندة للبيئة) ، فالدراسات النقديّة التي تسعى إلى الكشف عن موقف الإنسان تجاه ظواهر البيئة وتجلياتها سلباً أو إيجاباً لم تظهر بكونها نظريةً متكاملةً إلا في نهاية القرن العشرين ، بعد أن توسّعت التيارات المعرفيّة ، وظهرت الفلسفات الكونيّة الشاملة .

وقد التقت الدراسات الثقافيّة النسويّة بالدراسات الثقافيّة البيئيّة عند مرتكزين أساسيين:

المرتكز الأوّل/ إنّ الطبيعة هي الحاضنة الأولى ، والأم الحنون ، وإنّ المرأة غالباً ما تصوّر بأنّها رديفُ الطبيعة ، وحارسة الحياة ، وراعية الخصب والولادة .

المرتكز الثاني/ إنّ كلاً من المرأة والبيئة قد عرض لها التهميش والإقصاء ، بسبب هيمنة الفوقيّة الذكوريّة على المرأة والبيئة .

لذا برز نسقٌ ثقافيٌّ يحمل سمات الدراستين ، هو (**نسق النسويّة البيئيّة**) ؛ هدفه إنصاف (**المرأة والبيئة**) معاً ، والتنبيه على خطر الاستمرار بسياسة التهميش ضدهما ، وسيقدم البحث محورين ، يتناول المحور الأوّل جانباً تأصيليّاً لهذا النسق ، من ناحية نشأته ، وتعريفه ، وأعلامه ، ونظريته ، والمحور الثاني سيكون محوراً تطبيقيّاً يتناول بالدراسة والتحليل رواية (**حديقة حياة**) في ضوء هذا النسق ، ويُعدّ هذا البحث رائداً في مجاله ؛ لكونه لم يسبق بدراسة على وفق نسق النسويّة البيئيّة في الوطن العربيّ .

الكلمات المفتاحيّة: النسويّة ، النقد النسويّ ، النقد البيئيّ ، النسويّة البيئيّة .

Summary

It has recently been thought that the ecological study is just a branch of cultural studies that have become greatly varied and diversified in such a way that ecological studies are no longer restricted to purely scientific research, i.e. the scientific study of the earth). Rather, they have extended to shade on sociology, linguistics and literature, particularly literary criticism.

Critical ecological studies started in the 1970s, long behind the literary studies, i.e. the creative writing supporting ecology. It was only until late in the twentieth century, when various epistemic currents and cosmic comprehensive philosophieshad appeared,that the critical studies,reflecting the attitude of man towards the environment in its various manifestations and alternations, whether passive or positive turned to be a theory in its own right.

The ecological cultural studies and feminist ones meeton two principal points:

First, like woman who is the symbol of life, fertility and birth,nature is considered the first lap of life and a caring mother.

Second, both woman and nature have suffered margination and exclusion because of the masculine domination.

This has led to the emergence of a cultural pattern having the features of both.That is the **Ecological Feminism Pattern** that seeks to set impartiality for equally woman and nature, and draw the attention to the danger of the policy of margination and exclusion if maintained.

Finally, this study focuses on two aspects: first, it tackles the origination of this pattern in terms of theory, definition, and major figures. Second, it presents a practical study of the novel, A Life Garden.

As a matter of fact, this type of study is a forerunner in this Arab homeland where no other study has been implemented in terms of the Ecological Feminist Pattern.

المدخل:

يهدف البحث إلى تقديم دراسة ثقافيّة جديدة لم يسبق للباحثين في الوطن العربيّ تناولها بجانبيها (التأصيل والتطبيق) ، وهي تقديم النقد البيئيّ بنسق النسويّة البيئيّة ، أي تقديم مقاربة نقديّة بين النقدين النسويّ والبيئيّ بكونهما دراسةً ثقافيّةً مركبةً ، كما يرمي البحث إلى تقديم قراءة معاصرة للأدب ، بكونه وثيقة جماليّة وأخلاقيّة في الوقت نفسه ، بخاصّة الرواية ، فلم تعد الرواية حديثاً جنساً أدبيّاً يقدّم متعةً أو أسلوباً سرديّاً شائقاً فقط ، بل غدت وسيلة للمبدعين في تصحيح كثيرٍ من المسارات المنحرفة في المجتمع.

المحور الأوّل/النسويّة البيئيّة ، دراسة تأصيليّة:

ما المقصود بنسق النسويّة البيئيّة؟؟؟

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال لا بدّ أن تتضمن توضيحاً لأربعة مفاهيم موضوع البحث:

ـ الأوّل (**الدراسات الثقافيّة**) وخاصية الأنساق فيها .

ـ الثاني (**النسويّة**) وتمثلاتها ، و(**النقد النسويّ**) .

ـ الثالث (**البيئيّة**) وتمثلاتها ، و(**النقد البيئيّ**) .

ـ الرابع (**النسويّة البيئيّة**) بوصفها مفهوماً ثقافيّاً مركباً .

إنّ مصطلح (**النّسق**) يعني وحدة النظام أو تسلسل البنية المركزيّة للخطاب بحسب تحديدات **دي سوسير** ، فاللغة عنده هي نسقٌ عضويٌّ منظّمٌ من العلامات التي تمكّن من التواصل[١] ، وهو مفهومٌ لا يكاد يبتعد كثيراً عن معناه المركزيّ لغويّاً ، فالنسقُ عند صاحب اللسان هو مفهومٌ: "***عامٌّ في الأشياء ، وفي الكلام ما جاء على نظامٍ واحدٍ***"[٢] ، فلكلِّ شيءٍ نسق يترتب على وفقه ، ويتسلسل بحسب نظامه .

وفي الدراسات الثقافيّة ، والنقديّة الحديثة برز مصطلح (**النسق**) بكونه بؤرةً مركزيّةً للبحث عن تخوم المعنى وتتبع الظواهر ، وظهر لدينا مصطلحٌ مركبٌ ، وهو مصطلح (**النسق الثقافيّ**) الذي يشمل شبكةً واسعةً من الممارسات والأفعال والتمثلات ، التي تتعدّد وتتنوّع بحسب المجال الثقافيّ قيد الدراسة[٣]، فالنسق الثقافيّ يشير إلى تتبع ظاهرة بعينها بالدراسة والتحليل ، ومتابعة تشكّلها ، وما ينضوي تحتها من أقسام وتصوّرات ، وهذا ما يرمي إليه البحث بدراسة (**نسق النسويّة البيئية**) داخل الرواية ، والنسق الثقافيّ مجالٌ متداخلُ التخصُّصات أيضاً ، يكشف الآليات التي يتمُّ من خلالها إنتاج الثقافة وغرسها ، وتحديد خرائط المعنى ، التي تشمل مجموعة من الأفكار والصور والممارسات التي تعد سبيلاً للحديث في موضوعات مختلفة ، كالأنشطة الاجتماعيّة ، والقضايا السياسيّة ، والمواقع المؤسساتيّة وغيرها[٤] ، إذن فالنسق الثقافيّ هو "***مصطلحٌ تجميعيٌّ لمحاولات عقليّةٍ مستمرةٍ ، ومختلفةٍ تنصبُّ على مسائل عديدة***"[٥] ، وهو أكثر عالميّةً وشمولاً إذ يتجاوز الثقافة المحليّة والأقليميّة إلى الحدود العولميّة للثقافات .

وتعدّ الدراستين (النسويّة ، والبيئيّة) فرعين من فروع الدراسات الثقافيّة التي أصبحت حاضنة لكثيرٍ من التوجّهات والتيارات المعاصرة ، التي تدعو إلى تضافر المعرفة ومواجهة التحيّز ضدّ نوعٍ أو

---

١) ظ: زكريا إبراهيم ، مشكلات فلسفيّة (مشكلة البنية). ص ٤٤ .

٢) ابن منظور (ت٧١١هـ) ، لسان العرب. ج١٠/ص٣٥٢ مادة (نسق) .

٣) ظ: سمير الخليل ، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافيّ. ص ٢٩٢ ، ٢٩٥ .

٤) ظ: كريس باركر ، معجم الدراسات الثقافيّة ، ترجمة: جمال بلقاسم. ص١٩٥،١٩٤ .

٥) زيودين ساردار ، وبورين فان لو ، أقدم لك: الدراسات الثقافيّة ، ترجمة: وفاء عبد القادر ، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام. ص ١٢ .

جنسٍ أو طبقةٍ ، ف**(النسويّة** ، **Feminism**) مصطلحٌ ثقافيٌّ اجترحه (**شارل فورييه**) لكنه لم يوظّف بالمفهوم المتواضع عليه ، ولم يتم إقراره إلا في عام (١٩١٠م)[٦] ، بعد ظهور تيارات عالميّة فلسفيّة ، واجتماعيّة ، وسياسيّة ، واقتصاديّة ، وثقافيّة ، تناولت قضايا عالميّة أصبحت محوريّة في حياة الشعوب ، كـ(**الاستعمار والمقاومة** ، **والعرق والطبقة** ، **والجنس والجنوسة** ، **والتاريخ والتناص** ، **والقراءة والسياق** ، **والمجتمع والبيئة**) وغيرها ، والنسويّة حركةٌ فكريّةٌ ، وممارسةٌ سياسيّةٌ هادفةٌ إلى تغييرٍ اجتماعيٍّ أساسه الكشف عن الظلم الذي مُنيت به النساء ، وتحقيق العدالة بين الجنسين[٧] ، وهي تتحدى أيضاً تقسيم العمل على أساس الجنس ، إذ ينفرد الرجال بالعمل في المجالات العلميّة ، والسلطة ، والتشريع ، والمرأة تبقى عاملة في تدبير المنزل وشؤونه من دون أجرٍ[٨] ، فالنسويّة معنيةٌ بالاعتقاد بعدم حصول المرأة على حقوقها الطبيعيّة ، وتهميشها ، وإقصائها ؛ لكونها امرأةً فقط ، من قبل الهيمنة الأبويّة التي تسيطر على مقدراتها ، وتخضعها لمصالح الرجل[٩] .

أمّا (**البيئيّة**) ، فإنّ ظهورها كان متزامناً أيضاً مع ظهور التيارات العالميّة التي تدعو إلى العدالة والمساواة كالنسويّة أيضاً ، إذ دعت إلى الحفاظ على المظاهر الطبيعيّة والممارسات الحقيقيّة للكائنات ، بعد أن فقدت كثيراً من المزايا التي كانت تتمتع بها سابقاً ، فالأنثى مثلاً كانت تُلقب بحارسة الحياة ، ورمز العطاء والخصوبة ، وأيقونة الحبّ ، لكن بسبب التحيّز الجنوسيّ ، واعتزاز الرجل بقوّته البدنيّة ، وتصديه لأعمال الصيد والبناء قديماً ، من ثم ظهور التيارات العالميّة الرأسماليّة ، والصراعات والحروب فقدت المرأة كثيراً من مزاياها وحقوقها ، لهذا تبنّى مجموعة من الأفراد والمؤسسات على مستوى العالم الدفاع عن حقوق المرأة ، والحال نفسه يصدق على البيئة ، بخاصّة مظاهرها الطبيعيّة ، التي غالباً ما اقترنت بالأنثى ، إذ تشبه الأرض بالمرأة ، والمرأة بالأرض ، وكما أنّ المرأة فقدت مزايا عديدة ، فالبيئة أيضاً بسبب الصراع العالميّ والتوجّه نحو الحياة الصناعيّة والتقنيّة أفقدها كثيراً من مظاهرها بل وتشويهها وتدميرها ، لهذا تصدى الباحثون والمبدعون للمطالبة بالحفاظ عليها ، ورعاية تمثلاتها

[٦] ظ: هدى حسين الشيبانيّ ، رواية المرأة العربيّة من (١٩٩٠ -٢٠٠٧م) في ضوء النقد النسويّ. ص ١٠ .

[٧] ظ: شارلين ناجي هيسي ، وبابير ، وباتريشا لينا ليفي ، مدخل إلى البحث النسويّ (ممارسة وتطبيقاً) ، ترجمة: هالة كمال ، المركز القوميّ للترجمة . ص١٠.

[٨] ظ: سوزان ألس ، ومريزا رويدا ، ومارتا رودريجوز ، أقدم لك: الحركة النسويّة ، ترجمة: جمال الجزيريّ. ص ١٥ .

[٩] ظ: سارة جامبل ، النسوية وما بعد النسوية ، ترجمة: أحمد الشامي. ص١٣ ، ٢٢ .

الحقيقيّة والرمزيّة ، وكان من ضمنهم مبدعو الأدب ونقّاده ، فظهرت الدراسات البيئيّة الخاصّة بالإبداع الأدبيّ ، وهذا محور البحث ؛ لأنّ الدراسات البيئيّة تكون على اتجاهين:

الاتجاه الأوّل/ الدراسات البيئيّة العلميّة (البايولوجيّة) .

الاتجاه الثاني/ الدراسات البيئيّة الثقافيّة (الإيكولوجيّة) .

فلكلِّ اتجاهٍ أنماطه ومناهجه الخاصّة بالدراسة ، فلا يمكن تحليل الظواهر بصفتها العضويّة ، بالطريقة نفسها بصفتها الثقافيّة ، وعلى وفق دائرة معارف العلوم الاجتماعيّة فإنّ الدراسات الثقافية البيئيّة تعني دراسة الأشكال التي يتمُّ فيها تفاعل الكائنات مع بعضها في إطارٍ بيئيٍّ معينٍ ، يضم إلى جانب الثلاثيّة الخاصّة بالكائنات (**الإنسان** ، **والحيوان** ، **والنبات**) ، (**الأرض**) وما عليها من ظواهر مختلفة ، بل اتسع الأمر ليشمل الكون بكونه بيئةً واسعةً تضم بيئات متنوّعة[١٠] .

والدراسة البيئيّة امتدّت لدراسات اللغة والأدب ونقده ، إذ برزت الدراسات النقديّة البيئيّة في سبعينيات القرن العشرين ، وهي متأخرةٌ مقارنة بالدراسات اللغويّة والأدبيّة البيئيّة (الكتابات الإبداعيّة المساندة للبيئة) ، إذ نشأ فرعٌ في علم اللغة يعرف بـ(**اللغويّات البيئيّة**) ، فهناك لغويون اهتموا بشبكة العلاقات بين اللغة والبيئة ، وهم يرون أنّ الكلمات لا تفهم بمفردها ، بل تفهم في سياقها الطبيعيّ البيئيّ ، وهذا التوجّه لا يُعد وليد العصر الحديث ، بل لطالما دُرست الألفاظ ضمن الحدود البيئيّة التي ولدت في أحضانها وتطوّرت أو انحطّت في كنفها ، وأولت دراسات كثيرة هذا النوع من الدراسة التعاقبيّة للغة في إطارٍ بيئيٍّ معينٍ ، أمّا الأدب فهو غالباً يعدّ مجالاً خصباً لمقاربة الظواهر والقضايا ؛ لكونه يتسم بالشعريّة البلاغيّة والوجدان فضلاً عن الأفكار ، فهو لا يعتمد التناولات العقليّة أو التحديدات المنطقيّة ، بل يبرّزها بطريقة بلاغيّة وأخلاقيّة ساميّة ، والأدب البيئيّ أدبٌ واسعٌ ، وذو تراثٍ زاخرٍ وعظيمٍ ، لكن الدراسات النقديّة التي تسعى إلى الكشف عن موقف الإنسان تجاه ظواهر البيئة وتجلياتها سلباً أو إيجاباً ، لم تظهر بصورة نظرية متكاملة إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين ، بعد أن توسّعت التيارات المعرفيّة ، فالأدب البيئيّ على وفق المنظومة النقديّة الحديثة لا يقف عند حدود الوصف البيئيّ وكشف جماليات الظواهر الطبيعيّة ، وتوظيفها بكونها رمزاً شعريّاً ، بل أصبح ذا أفقٍ أوسع من ذلك وأبعد ، إذ صار الأدب البيئيّ وثيقة معالجة للضرر الذي حاق بالمنظومة الطبيعيّة

---

[١٠]) ظ: سمير الخليل ، دليل مصطلحات الدراسات الثقافيّة والنقد الثقافي.ص ٥٢ ، ٥٤ .

أخلاقيّاً وأدبيّاً ، ونشر الوعي وتشكيل حركة تنوير عالميّة للنظر في البيئة ، لإعادة صحة كوكب الأرض وما عليه .

والنقد البيئيّ (Ecocriticism) يُعنى بدراسة "**العلاقة بين الأدب والبيئة المادّيّة**"[١١] ، وتبرز قيمته بأنّه "**مشروعٌ إنسانيٌّ جديدٌ لوجودنا في العالم ، مشروعٌ عماده نظرة جديدة تؤسس لحضارة جديدة**"[١٢] ، فما نواجهه بحسب الأزمة العالميّة يدعو المؤسسات العالميّة باختلاف تخصّصاتها وتوجّهاتها إلى إعلان حالة الخطر في القضايا الرئيسة ، التي عرضت لها زعزعة في أساساتها وانحرافها بشكلٍ حادٍّ ، فالعالم الذي نعيش فيه اليوم ، هو عالمٌ مصطنعٌ ، أكثر من كونه عالماً طبيعيّاً ، وهذه الفكرة قد تبنّتها المدرسة الإمكانية التي تطورت على يد الفرنسيين (**فيدال لا بلاش ، وبرين**)[١٣] ، وقد ظهر النقد البيئيّ في الثقافة الأنجلوسكسونية ، في العقد السابع من القرن العشرين ، وتحديداً في عام (**١٩٧٨م**) في المملكة المتحدة ، إذ اهتمّت الجامعات الإنكليزيّة كجامعة (**هارفارد ، ولندن ، وهامبورج ، وأكسفورد ، وبون**) بالدراسات البيئيّة ، وعُني أساتذتها بالحقول البيئيّة في الأدب والثقافة عنايةً كبيرةً ، ويُعد (**ويليام روكيرت**) أوّل من وظّف مصطلح (**النقد البيئيّ**) في مقالته (**الأدب وعلم البيئة ، تجربة في النقد البيئيّ**) عام ١٩٧٨م ، وبعدها ألف كتابه (**النقد الأدبّي البيئيّ**) عام ١٩٩٤م.

أمّا حركة النسويّة البيئيّة فقد بدأت حركة اجتماعيّة مركبة تُعنى بقضايا المرأة والطبيعة في آنٍ معاً ؛ لأنّ الطبيعة بنظرها شأنٌ أنثويّ ، وقد عرض لها التهميش والإقصاء بسبب السلطة الذكوريّة أيضاً ، التي أدت إلى فقدانها كثير من تمثلاتها ، بسبب سيادة الرجال على الدين والسياسة والاقتصاد التي قلّصت قيم الأمومة والرعاية تجاه المرأة والطبيعة[١٤] ، وقد مرّت النسويّة البيئيّة بثلاثة أطوار:

أوّلاً/طور التأسيس: رافق هذا الطور البدايات الأولى لشرارة النقد البيئيّ ، إذ يشير أغلب الباحثين والروّاد بهذا الشأن ، إنّه بدأ في مجموعة الكاتبة وعالمة البايولوجيا (**راشيل كارسون**) القصصيّة ،

---

[١١]) جرج جيرارد ، النقد البيئوي ، ترجمة: عزيز صبحي جابر. ص ١٠ .

[١٢]) حفناوي بعلي ، مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن. ص ٣٣٤ .

[١٣]) ظ: عبد الغني عماد ، سوسيولوجيا الثقافة (المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة). ص ١٩٥ .

[١٤]) ظ: كامل جاسم المراياتيّ ، مقدّمة في علم التبيؤ البشريّ. ص ١٤٨ .

وعنوانها (**الربيع الصامت**) ، بخاصّةٍ قصّة (**خرافة الغد**) ، التي نُشرت في عام ١٩٦٢م ، وقد لفتت الأنظار إلى قضية كانت ضبابيّة ومشتتة في المجالات ، وقد تناول الباحثون والمهتمون بهذا الشأن قصّتها بالدراسة والتحليل ، وقد أُنتج فيلم سينمائيّ يحمل فكرة **راشيل** في ربيعها الصامت ، وافتتحتْ قصتها بـ"**كان يا ما كان في قديم الزمان ، بلدة يقبع في قلب أمريكا ، تتناغم فيها الحياة بشتى صورها.....المزارع المزهرة ، والحقول الخضراء ، وعواء الذئاب في التلال ، والغزلان الصامتة ، ونباتات السرخس والزهور البريّة ، والطيور التي لا حصر لها ، وأسماك السلمون المرقّط ، التي تسترخي في ماء الجداول العذب البارد ، كلها كانت مبتهجة برؤية عابري السبيل يقطعون البلدة**"[١٥] .

إذ حمل النصُّ صورةً وادعةً ، ومتوازنةً للوجود الحيّ والصامت ، حيث البشر ، والحيوانات الطليقة ، والنباتات المزهرة ، والماء ، والهواء ، وكأنّها تقدّم صورة المثال البيئيّ الأوّل ، من ثم تقول: "**فجأة زحفت آفة غريبة على المكان ، وبدأ كلُّ شيء بالتغيّر ، خيّم سحرٌ شريرٌ على المجتمع ، عللٌ غامضةٌ سحقت قطعان الدواجن ، سقمت الأغنام ، والماشية نفقت ، وخيّم ظلام الموت على المكان**"[١٦] ، إذ انتقلت إلى صورة مرعبة في تدمير الكائنات ، وقد وظّفت الصور البيئيّة المضادة في وصفها للتغيير الذي حصل (آفة ، سحر شرير ، علل غامضة ، ظلام) ، وبهذا تكون النسويّة البيئيّة مرحلة متقدِّمة .

ويرى بعض الباحثين أنّ الفصل الذي حصل بين الطبيعة والبشر ، كان قديماً منذ أن تصدى (**الذكر**) البدائيّ للصيد باستعمال القوّة والعنف ضد الطبيعة ، في حين أن (**الأنثى**) كانت أكثر رقّةً وحفاظاً على البيئة منه ، إذ لم تستعمل الأساليب الوحشية للعيش ، فضلاً عن انشغالها بمسائل الإنجاب والرعاية ، الأمر الذي جعل المرأة والطبيعة _بخاصة الحيوانات_ كائنات دونيّة ، وبعيدة عن أعمال الحضارة الذكوريّة في ضوء الثقافة الفوقيّة ، وغالباً ما تربط الثقافة الفوقيّة (**المرأة ، والطبيعة**) بمفهوم (**الآخر**) ، ويرى آخرون أنّ انتقال العقائد والقيم التي تعبد الأنثى وتقدسها إلى العبادات الذكوريّة كانت الشرارة الأولى للفوقيّة ، فالديانات الأولى كانت ديانات ذات صبغة أنثويّة ، تقدّس (**المرأة ، والطبيعة ، والأرض ، والخصوبة**) ، ولم تكن هناك تراتبيّة جنوسيّة ، ، إلى أن قَدِمت

[١٥]) جرج جيرارد ، النقد البيئوي. ص ١٣ ، ظ: مايكل زيمرمان ، الفلسفة البيئية. ج ١/ص٢٣٩ .

[١٦]) جرج جيرارد ، النقد البيئوي: ١٣ .

الديانات الأبويّة ، ورفعت مكانة الرجل في العمل والإنفاق والإنجاب ، وغدت المرأة بحسب تقديرهم كـ(**الحقل الذي يحمل البذرة**) ، وقد ساعدت السرديّات الدينيّة هذه الفوقيّة ، بخاصّة سرديّة (**أنّ المرأة قد خُلقت من ضلع الرجل**)[١٧] .

وحين بدأ العالم بالتطوّر والتوسّع الاقتصاديّ والصناعيّ ، عرض للمرأة والطبيعة إقصاءً كبيراً ، وقد مثّلت (الرأسماليّة ، والماركسيّة) الهزيمة التاريخيّة للأنثى ، فهم لا يعدّون ما تقوم به الأنثى من الأعمال يدرُّ دخلاً ، فعلى سبيل المثال: أنّ الغابات والمزارع التي تعتني بها النساء ، وتعتمد عليها في توفير الغذاء لعوائلهن ، لا تحسب في الحسابات الإجمالية الوطنيّة ، لكن حين يقوم الرجل بقطع الأشجار وتحويلها إلى أخشاب وبيعها ، يعدُّ هذا العمل تجارةً ، تجلب أموالاً ، ولا ينظر إلى الضرر الذي تخلّفه في البيئة على المديين القريب والبعيد[١٨] ؛ لأن القضاء على مساحات الغابات الخضراء ، وقطع الأشجار يزيد من سرعة الرياح ، الأمر الذي يزيد من تصاعد الغبار ، وتجفيف المياه ، الذي يؤدي شيئاً فشيئاً إلى انجراف التربة وتشوّهها ، ولن تصبح تربة صالحة للزراعة مرّة أخرى[١٩] ، الأمر الذي يزيد من المساحات الجرداء ، وقلّة الغذاء للحيوان والإنسان ، وكثرة التلوث البيئيّ ، فتزداد الأزمة العالميّة .

ثانياً/طور التكوين: وفي هذه المرحلة اتّسعت الحركة النسويّة البيئيّة ، وبدأت الأصوات ترتفع ، والكتابات تتوسّع وتنتشر ، وظهرت في الساحة منظِّرات نسويّات بيئيّات ومنظِّرون أيضاً ، كرسوا كتاباتهم وأدبهم لهذه القضية ، وأبرزهم[٢٠]:

١.(**روز ماري ردفوردر وثر**) ، في كتابها (**امرأة جديدة/أرض جديدة**) ، صدر عام ١٩٧٥م .

٢. (**ماري دالي**) ، في كتابها (**المرأة/الإيكولوجيا**) ، صدر في عام ١٩٧٨م .

٣. (**سوزان غريفن**) ، في كتابها (**المرأة والطبيعة/الهدير في داخلها**) ، صدر في عام ١٩٧٨م .

١٧) ظ: غريتا غارد ، ولوري غروين ، النسوية الإيكولوجية (نحو عدالة عالمية وصحة كوكبية) ، ترجمة: عزة حسون ، مجلة الطبيعة والمجتمع ، ١٩٩٣ ، بحث منشور في شبكة الأنترنت. http://musawasyr.org . ٥ ، ٦ .

١٨) ظ: عادل رفقي عوض ، المرأة وحماية البيئة . ص٢٣ .

١٩) ظ: غريتا غارد ، ولوري غروين ، النسوية الإيكولوجية. ٨ .

٢٠) ظ: نفسه. ١ .

٤. (**إليزابيث دودسون غراي**) ، في كتابها (**الجنة الخضراء المفقودة**) ، صدر في عام ١٩٧٩م .

٥. (**كارولين ميرشنت**) ، وهي أستاذة الفلسفة البيئيّة ، والتاريخ البيئيّ ، والأخلاق البيئيّة ، في قسم الحفاظ ودراسات الموارد في جامعة كاليفورنيا ، ومن أبرز النسويّات البيئيّات في العالم ، حرَّرت أكثر من خمسة كتب ومقالات مختلفة في البيئة ، والنسويّة البيئيّة ، من أبرزها كتابها (**موت الطبيعة ، النساء والإيكولوجيا والثورة العلميّة**) ، الذي نُشر في عام ١٩٨٠م[٢١] ، وهي ترى "**أنّ الفصل الذي حصل بين الثقافة والطبيعة ، هو أحد نتائج الثورة العلمية**"[٢٢] .

٦. (**كارين .ج. وارين**) ، أستاذة الفلسفة في كلية ماك أليستر ، وبدأت عنايتها بالقضايا البيئيّة منذ السبعينيات ، إذ أنجزت أطروحتها للدكتوراه في (**المنزلة القانونيّة للموضوعات الطبيعيّة غير البشريّة ، الأشجار ، والأنهار ، والمنظومات البيئيّة**) ، ونشرت أبرز دراستين ، هما (**مدخل إلى النسويّة الإيكولوجيّة**) ، و(**قوّة ووعد النسويّة الإيكولوجيّة**) ، وألقت محاضراتها في هذا الموضوع في بلدان العالم كالولايات المتحدة ، وأستراليا ، والبرازيل ، والأرجنتين ، والسويد ، والنرويج ، وكوستاريكا ، وفنلندا ، وروسيا[٢٣] .

٧. (**غريتا غارد** ، **ولوري غروين**) ، في دراستهما (**النسويّة الإيكولوجيّة** ، **نحو عدالة عالميّة وصحّة كوكبيّة**) ، في ١٩٩٣م ، إذ تقولا: "**عندما تضطر النساء إلى المشي سبع ساعات يومياً للحصول على الماء من أجل عائلاتهم وماشيتهم ، فلا بدّ أن تصبح تبعات هذا الأمر على البيئة ، قضيّة نسويّة**"[٢٤] .

٨. (**فاندانا شيفا**) ، في كتابها (**إفقار البيئة ، النساء والأطفال في المقام الآخير**) ،وهي أكاديميّة هنديّة تعمل في مجال الفيزياء ،وناشطة عالميّة ، ومديرة مؤسسة (**حول العلم ،والتقنية ،والبيئة**)[٢٥].

---

[٢١]) ظ: مايكل زيمرمان ، الفلسفة البيئيّة. ص ٢/ ٣٠ ، ٣٦٢ .

[٢٢]) غريتا غارد ، ولوري غروين ، النسوية الإيكولوجية. ص ٥ .

[٢٣]) ظ: مايكل زيمرمان ، الفلسفة البيئية. ص ٢/ ، ٩٦ ، ٣٦٢ .

[٢٤]) غريتا غارد ، ولوري غروين ، النسويّة الإيكولوجيّة. ص ١٤ .

[٢٥]) مايكل زيمرمان ، الفلسفة البيئيّة. ص ٢/ ٣٠ ، ٣٦٢.

٩. (**أريبل ساله**) ، ويركز تحليلها على حجم عمل النساء ، وطبيعة ذلك العمل ، ومستوى استغلال عمل النساء عالميّاً ، وترى أنّه يقع على عاتق النساء ٦٥% من العمل ، مقابل ٥% من الأجور[٢٦] .

١٠. (**دين كورتين**) ، في كتابه (**التعرّف إلى الخبرة البيئيّة للنِّساء**) ، وهو أحد فلاسفة النسويّة البيئيّة ، يشغل كرسي (**رايموند** ، **وفلورينس**) للأخلاق في كلية غوستاف أدولفوس[٢٧] ، نشر مقالات وبحوث عديدة في النسويّة البيئية .

وقد واجهت النسويّة البيئيّة في هذا الطور انتقادات كثر ، إذ نقل (**جون كلارك**) في مقالته (**الإيكولوجيا الاجتماعيّة**) ، آراء (**بوكتشين** ، **وبيهل**) ورفضهما النسويّة البيئيّة ، فهم يرون أنّها حركةٌ مبالغٌ فيها ، بخاصّة الاتجاه المتشدِّدة كالذي تنتمي إليه الأكاديميّة (**لويزا ويستلنغ**) من جامعة أريغون ، وهي متهمة بتركيز النسويّة البيئيّة على ما يتجلّى به الجنس في تصوير المظاهر الطبيعيّة ، إذ أنّها ترسخ فكرة (**إنّ الأرض أنثى** ، **ويغتصبها الذكور**)[٢٨] ، أمّا (**روريك فوكس**) ، فقد هاجم النسويّة البيئيّة ، ورأى ضرورة دمجها مع البيئيّة العميقة ، وأنّها لا تقدم شيئاً جوهريّاً للدراسات البيئيّة ، لكن (**مايكل زيمرمان**) ردّ عليه بقوله: "**إنّ الصفة النسويّة تضيف شيئاً مهماً للأخلاق البيئيّة ، وإنّ أي أخلاق بيئيّة (بما فيها الإيكولوجيا العميقة) تفشل في توضيح الترابطات بين الهيمنة على الطبيعة ، والهيمنة على النساء**"[٢٩] ؛ فالنسويّة البيئيّة تؤمن بأنّ "**النساء أكثر تناغماً مع الطبيعة من الرجال**"[٣٠] .

وقد عُقد المؤتمر الأوّل (**النساء والبيئة**) في جامعة كاليفورنيا في عام ١٩٧٤م ، تناول التهميش والإقصاء المزدوج لـ(**لمرأة** ، **والطبيعة**) ، وأقيمت بعده مؤتمرات عديدة بهذا الشأن[٣١] ،

---

[٢٦]) ظ: مايكل زيمرمان ، الفلسفة البيئيّة. ص ١٤٥/٢ .

[٢٧]) نفسه. ج٢ / ص ٣٦٢ .

[٢٨]) جرج جيرارد ، النقد البيئوي. ص ١٣ .

[٢٩]) مايكل زيمرمان ، الفلسفة البيئيّة. ٣٣٢/٢ .

[٣٠]) ظ: نفسه. ٣٨٥/١ .

[٣١]) ظ: غريتا غارد ، ولوري غروين ، النسوية الإيكولوجية. ١ .

فضلاً عن استمرار الكتابات في النسويّة البيئيّة ومقالات التوعية التي بدأت بالانتشار والتوسّع في العالم ، فشكّلت ظاهرة فتية تسعى إلى زعزعة الأساسات الذكوريّة ، وعقائد السيادة والسيطرة الأبويّة ، تقول (ينيسترا كينج): "**لا بدّ لنا من حركة عالميّة غير ممركزة ، تتأسس على المصالح المشتركة ، وتحفل بالتنوّع ، وتناهض أشكال السيطرة والعنف كلّها ، ومن الممكن أن يكون المذهب النسويّ البيئيّ هو تلك الحركة**"[٣٢] ، وبهذا تكون النسويّة البيئيّة قد تجاوزت طور التأسيس إلى التكوين والشيوع .

ثالثاً/طور النظريّة: بعد الطورين السابقين (التأسيس ، والتكوين) ، تدخل النسويّة البيئيّة طورها الآخير ، إذ استوت نظريّة ذات سمات وملامح معروفة ، وأُقرَّ وجودها في القضايا والمجالات العالميّة ، وبدأ الاعتراف بكثيرٍ من المطالبات ، بل وتغيّرت كثيرٌ من الواقعيّات التي كانت لا تأخذ جهود المرأة على محمل الجد ، ومن مظاهر ذلك أنّه تمَّ مُنِح الأكاديميّة الأحيائيّة والناشطة الكينيّة **(وانجاري ماثاي)** جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٤م ؛ لأطروحاتها في البيئة والتنمية المستدامة ، إذ أسست عام ١٩٧٧م **(حركة الحزام الأخضر)** ، التي أسهمت في زرع أكثر من (٣٠) مليون شجرة في إفريقيا ، وقالت: إنّ السلام على الأرض يتوقف على قدرتنا على حماية بيئتنا الحيّة ، وتُعدُّ أوّل سيدة إفريقيّة تحصل على جائزة نوبل للسلام ، وحصلت أيضاً على جائزة غولدمان المرموقة للبيئة عام ١٩٩١م[٣٣] ؛ لجهودها البيئية الكبيرة في زيادة المساحات الخضراء ، ومواجهة التصحّر وإفقار البيئة الإفريقيّة .

وعلى المستوى التجريبيّ هناك كثير من النساء (ملونات ، وعجائز ، وذوات احتياجات خاصّة ، ومثليّات ، وذات ديانات متنوّعة) ، سعت النسويّة البيئيّة إلى تحريرهن ، وإنهاء العنصريّة والطبقيّة والتمييز الذي وقع عليهن بحسب السن أو الساميّة العرقيّة ، والإعاقة الجسديّة ، والميول الجنسيّة[٣٤] ، فالكائنات الحيّة متنوّعة، وهذا التنوّع هو أساس الوجود ، فكلُّ نوعٍ يكمل الآخر بمعادلة التوازن الوجوديّ ، وقد حازت كثير من النساء في بلدان عديدة على كثيرٍ من مطالبهن ، لكن رغم الآمال الكبيرة والواسعة في العالم التي حملتها النسويّة البيئيّة ، ما زالت بحاجة للنضال المستمر .

---

[٣٢]) جرج جيرارد ، النقد البيئويّ.ص ٤٠ .

[٣٣]) ظ: ويكيبيديا: (وانجاري ماثاي) .

[٣٤]) مايكل زيمرمان ، الفلسفة البيئية. ٣٢٩/٢ .

المحور الثاني/الدراسة التطبيقيّة:

تعدُّ رواية (**حديقة حياة**) الرواية السادسة للكاتبة والروائية السيدة (**لطفية الدليميّ**) ، صدرت عن اتحاد الكتّاب العرب في دمشق عام ٢٠٠٣م ، وعن دار الشؤون الثقافيّة العامّة أيضاً ، في بغداد ، عام ٢٠٠٤م ، والسيدة (**لطفية الدليميّ**)[٣٥] من الشخصيات الثقافيّة العراقيّة التي آمنت بأفكار الحرية والحقوق المشروعة للإنسان في الحياة والعيش الكريم ، بخاصّة المرأة التي أُقصيت عن كثيرٍ من مجالاتها ، والسيدة لطفية متماهية مع الطبيعة والسلام البيئيّ أيضاً ، وترى أنّ الكتابة في الأرض لا تقل شأناً عن كتابة الإنسان وإبداعه فكراً وفنّاً ، وقد كتبت على جدار صفحتها في الفيسبوك بتاريخ ٢٠١٨/٧/١٣م ، "**سألوني: لو لم تكوني كاتبةً ، ماذا كنتِ ستصبحين؟؟**" ، فتجيب: "**كنت سأصبح فلّاحة ، مزارعة ، حرّاثة أرضٍ ، أنشئ مشتلاً للزهور ، أو أكون زارعة قمح على السفوح ، فلّاحة بساتين برتقال ونخيل وأعناب ، حاصدة غلال ، أجمع مياسم الزعفران ، أزرع الياسمين عند الأبواب الحزينة ، أزرع فسائل النخل على الضفاف المهجورة ، أعمل قاطفة تين وزعرور وعنّاب ، أكتب على الأرض ما كنتُ سأدونه على الورق ، ألا يكفي هذا لأغدو سعيدة.؟**" ، وبقولها هذا تقرُّ أنّها تحمل انتماءً طبيعيّاً ، وترى سعادتها مرتبطة بتوهّج الحقول الخضر وزهوها ، وقد كتبت دراسةً وسمت بـ(**العودة إلى الطبيعة**) إيماناً منها بضرورة الانسجام والتآلف الطبيعيّ بين الكائنات ، وهي تنطلق غالباً من روحيّة صوفيّة محبّة للطبيعة والتسامي الأخلاقي .

يبدأ نسق النسويّة البيئيّة سيرورته في الرواية منذ العتبة الأولى لها ، وهي عتبة العنوان ، فحين نقوم بتفكيكها نجد أنّها مركبةٌ من نسقين ، **النسق البيئيّ الأوّل/الحديقة** ، **والنسق النسويّ الآخر/ حياة** ، وباجتماعهما وإضافتهما لبعضهما تتمظهر العتبة الإشهاريّة للرواية (**حديقة حياة**) ، إذ حملت همّاً فلسفيّاً وأسلوباً جدليّاً بين الإنسان وما حوله ، إذ شكّلت مفردة (**الحديقة**) ومفهومها على مدى الحكاية البؤرة المركزيّة للرواية ، بالتعاضد مع بطلة الرواية (**حياة**) ، فكلّما تتشظّى الأحداث ، وتتحطّم الآمال ، وترزخ الشخصيات تحت وطأة الألم والانكسار والفقد والموت ، تعمل (**الحديقة**) وبطلتها (**حياة**) على لملمتها وإعادة هيكلتها ، وتقديمها بأملٍ جديدٍ ، تستهل الكاتبة روايتها بالمقطع:"***تعرف***

[٣٥]) كاتبة عراقيّة وأديبة ومترجمة مرموقة ، وناشطة مدنيّة ، ومن دعاة السلام والحريّة ، تعدّ من أبرز الروائيّات العربيّات ، لها باعٌ طويلٌ في الثقافة والأدب وعالم الصحافة والترجمة ، ظ: لقاء الساعديّ ، تجلياتهن (ببلوغرافيا الرواية النسوية العراقيّة ، مع دراسة في المضامين والأشكال الفنيّة (١٩٥٣م ـ ٢٠١٦م) ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٦م: ٢١٨ .

المرأتان أن لا سبيل إلى التراجع ، فقد قالتْ الحياة حكمتها ورضخ القلب" [٣٦] ، مؤذنةً بأنّ الحكاية تقوم على امرأتين: هما (**حياة**) وابنتها (**ميساء**) ، إذ احتكمتا إلى قوانين الحياة ، ومحاكمة الأقدار لهما ، إذ مُنيتا بالفقد ، ففي الوقت الذي تعاني فيه حياة سني الضياع بعد فقد زوجها ووالد ابنتها الوحيدة (**غالب**) في براثن الحرب ، تعاني ابنتها أيضاً فقد خطيبها (**زياد**) ، الذي حمل إليه وطنه ألماً وتمزّقاً كبيراً لم يفلح حبّه لميساء في مداوته وردم جراحاته .

فحياة هي الراوي العليم في الحكاية ، وهي المحور الموازي لمحور الحديقة ، التي تنتظم الحكايات الثانوية الأخر في فلكهما ، أصبحت حياة بسبب معاناتها وانكساراتها تقيس السنوات والأيام على عدد أيام الفقد وسنواته ، وهي تشعر بمرارة كبيرة لذلك ، تقول: " ***ما أقسى أن يرتبط الناس بأوان الرحيل لا بمواسم القطاف أو لقاح نخيلٍ ، لا ميعاد يعرفون عن تفتّح قداح البرتقال أو موسم نضج التوت ، لا أحد منهم تبقّت لديه تلك الإشراقة الأولى للكائن الإنسانيّ ، وهو يندغم بالأرض والهواء والعشب ، ويحيا في ملكوت الجمال البدائيّ...ما عرف أحد منهم ومضة النور التي تشعُّ من زهرة المشمش في أواخر شباط"*** [٣٧] ، فهي تبوح بهمٍّ فلسفيٍّ حين يرتبط الزمن بمواسم الفقد والرحيل ، وتبدأ السنوات بالعدِّ التنازليّ وتناسل أيام الفقد ولياليها ، عوضاً عن دورة النخيل ، وقداح أزهار البرتقال والمشمش ، ومواسم نضج القطاف وجني الثمار ، فالروائيّة هنا لم تستعر هذه التقاويم البيئيّة عن ترفٍ بلاغيّ أو لعبة لغويّة شاعريّة ، بل إنّها تؤسس لتقويم حياة أكثر شفافية وإحساساً ، فحياة تبدو في انكسارها بعد أن خبت تلك الإشراقة الروحيّة التي كان الإنسان أشد ارتباطاً بالأرض واخضرارها ، ليغادرها قتيلاً جسداً أو روحاً بعد أن طحنت الحرب آخر آماله ، ومن شدّة ارتباط حياة بزوجها غالب كانت تصف ابنتها ميساء _التي تمسك بخيوط السرد في مواضع عديدة_ حالها بعد أن صاح حاجب الغياب بهما "***كانت أمّي تشمُّ من ثيابه رائحة الياسمين والزعفران وهما لا يستخدمان إلا لتجميل العرائس في الهند"*** [٣٨] ، إذ كانت حياة تنتظر غالب أن: " ***يطفئ الحرب بالحروف، وينمو ، ويحيا ، ويتكاثر ، ويحطُّ الليلة مثل حمامة على وسادتها ، يشاطرها الصوت ليلتها ، فتنزف أشواقها إلى أعماقه"ا*** [٣٩]، فها هي الأنثى تحنُّ إلى

[٣٦]) لطفية الدليميّ ، حديقة حياة. ص ٥ .

[٣٧]) لطفية الدليميّ ، حديقة حياة.ص١٠ .

[٣٨]) نفسه. ص٢٠٠ .

[٣٩]) نفسه. ص ١٦ .

شريكها/الآخر/المغيّب ، وتحلم أن يطفئ شرارة الحرب ، ويحيا من رمادها من جديد ، لا كطائر العنقاء الذي يستمر بالاحتراق والعودة ، بل كحمامةٍ رمزاً للسلام والوئام والحرّية ، فتسمع صوته وهو يشاركها لياليها ، لكنها تصرُّ على كبريائها فتنزف الأشواق قافلة إلى الأعماق .

من ثم تعود حياة وتمسك بسيرورة القصّ من جديد ، لتصف حديقتها العامرة بأشجار التين والنارنج وهي تزهو تحت الغيث الذي يمحو عنها ما علق فيها من تراب ، من ثم تعرّج على ابنتها ميساء التي تطالع وجه أبيها في الأفق ، وكأنّ المطر أزال ما علق في روحها من غبار الفقد وألم الغياب "***تتساقط مياه غزيرة على أشجار التين والنارنج في الحديقة ، وتنساب قطرات المطر على الأوراق الخضر ، وتتقطر من جديد ، وعندما تسكن العاصفة..تتحرك أضواء بعيدة في الأفق ، ثم يلوح لها وجه أبيها ، ويصطبغ العالم بلونٍ ورديٍّ ، وبيضاء المكان ، وينحل الظلام***"[٤٠] .

فالسيدة لطفية لم تأتِ بهذه الصورة لحال المطر والأشجار المزهوة بمائه ، وتلك العاصفة التي تهزُّ أغصان الأشجار وأوراقها ، من ثم انجلائها وظهور ألوان الشفق ، وتزول العتمة ويتبدد الظلام ، وينشر الضوء صفحاته من جديد لوصف صورة طبيعيّة مألوفة ، أو وظفته بكونه حشواً سرديّاً لوصف ما يحدث حول الشخصيات داخل الرواية ، إنّما تعقد مقارنة صوفيّة بين مظاهر الطبيعيّة وهي في تقلباتها واختلاف أنوائها ، وبين الحالة النفسيّة للشخصيّة الإنسانيّة ، وهي تتقلب عليها الأنواء النفسيّة ، وتتناوب الأحداث والأقدار ، ففي الموضع الذي تذكر المطر فيه وحاله على ميساء ، تنتقل بلسان السرد إلى شخصيةٍ أخرى ، وهي السيدة (**رويدة**) زوجة السيد (**هشام**) ، وهما والدا (**زياد** ، **وزهراء وزهاء**) ، لكن المطر هنا كان مختلفاً ، تقول رويدة:" ***المطر لا يخيفني إنّها تمطر الآن ولا الرعد ولا البرق أنا الآن غير قابلةٍ للبلل أو الحريق أو الخوف***"[٤١] ، فالمطر أيضاً يهطل على رويدة ، برعده وبرقه ومائه الفضيّ ، لكنها قد تجرّدت من ذلك الإحساس ، لم يعد مخيفاً ما يحمله المطر من لوازم كانت ترتاع لها ، فلا ألوانه ولا أصواته محل خوفٍ الآن ، فقد حرّرها مطرٌ آخر من هذا الخوف ، ففي الليلة التي مطرت سماء الحرب عليهم صاروخاً قد حرّر أرواحهما من مخاوف كثر ، فلم يعد البلل مخيفاً كما لم يعد الحريق مخيفاً أيضاً ، إذ صارت أرواحهم أكثر شفافيّة ومقاومة لتلك التقلّبات البيئيّة ، وها هي رويدة تشاهد ابنتيها التوأم اللتين احتفلوا بميلادهما قبل أن يمطرهم الصاروخ

---

[٤٠]) نفسه. ص١١ .

[٤١]) لطفية الدليميّ. ص ١٧٢ .

تحرّراً وتجرّداً ،وهما : ***تلعبان لعبة القفز بين الغيوم***(٤٢) ، إذ تمارسان لعبتهما بأمان بين السحب ، وهذا السياق يحمل نسقاً مضمراً عن وأد الطفولة ، وقتل الأماني الصغيرة ، والأرواح البريئة التي ما زالت في طور برعمها في دورة الحياة .

تظلُّ حياة تصارع ريح الفقد ، وعواصف الحياة التي حلّت عليها من جوانب مختلفة ، فـ"***الريح تهمس لها ، وهي تدور حول البيت ، وتدحرج بعض الجذوع الجافة فوق سطح البيت***(٤٣) ... ***الريح تبكي...تبكي في ساحتي الحزينة***(٤٤) ، فكما تتعاور عليها حالة الانكسار والأمل ، تتعاور حالة الريح والمطر ، فكلّما كسرت الريح فيها غصناً ، أنبت المطر في نفسها برعماً وأملاً جديداً ، بخاصّة وهي ترجو من ميساء أن تعيد إليها بهجة أبيها ، التي أرادها أن تكون متخصّصة بالتاريخ والآثار ، "***أريدها عالمة آثار تنقّب عن العشرة آلاف مدينة التي لم يكتشفها أحد .... أريدها عالمة فيزياء ، لعلّها تخترع شيئاً يوقف تدهّور الزمن في أجساد الناس***"(٤٥) ، فغالب يريدها أن تكشف المدن ، وتعيد وجه الحضارة ، وزهو الماضي بعد أن تقلّصت قيم الحاضر ، في حين أنّ حياة ترجو لميساء أن تخترع آلة لوقف تدهور الزمن النفسيّ في الأرواح ؛ لشدّة إحساسها بوطأة الزمن وتباطأ عقاربه التي تنخر النفوس ألماً ، تستمر حياة باكتشاف أنوثة ميساء كاكتشافها برعماً لزهرة في حديقتها ، فكما تمسك ساق الزهرة النحيل برفقٍ وحذرٍ ، تحنو على جسد ميساء وهو يشقُّ شرنقته نحو الاكتمال .

فـ"أصابع الأم تأخذ الزهرة بحنانٍ وحذرٍ...تمسكها من ساقها النحيل المبلول ، وتضعها في قدح الماء(٤٦) ، ...... **تكتشف الأم أنّ الصبية تغادر الطفولة إلى عتبات الأنوثة ، فها هو الجسد النحيل الضامر يشقُّ الشرنقة التي ضاقت عليه ، وينبت له جناحان من نزق المراهقة ونهم النضج**(٤٧) ، فها هي الطبيعة تعيد نفسها بين (الزهرة/ميساء) ، فالبراعم لا بدّ أن تتفتح ،

---

٤٢) نفسه. ص ١٧٣ .

٤٣) نفسه. ص ١٥ .

٤٤) نفسه. ص ٥٠ .

٤٥) نفسه. ص ١٧ .

٤٦) لطفية الدليميّ. ص ١١ .

٤٧) نفسه. ص ٢٢ .

والأنوثة لا بدّ لها أن تفوح ، ويتفجّر الجسد الضامر عن مكنوناته ، رغم الأطواق التي تحيط به ، فكما لا تمنع الأشواك الزهرة من التبدّي والزهو الجميل ، لا تمنع الآلام الأنوثة من الظهور والكبرياء الشفيف ، ولا مجال لانقطاع الموازنة بين الطبيعة والإنسان فكلُّ كائنٍ هو بحدّ ذاته عالمٌ من الحياة ، وفي الوقت ذاته جزءٌ منها ، تتوازن الكائنات ويكمل بعضها بعضاً .

فحياة لم تستلم لخريف حياتها وتساقط بعض الآمال وذبولها ، فرغم أنّها " ***تقيس حياة الأيام بما يتراكم على عتبات بيتها من غشاوة الأحزان التي تتصدى لها وتكنسها مع ما يتساقط من ورق الشجر الذاوي***"(٤٨) ، لكنها كحديقتها التي تتعاور عليها الفصول ، فكما يمرُّ عليها الخريف باكتئابه ، سرعان ما تحمل ريح الربيع مكنستها ؛ لتعيد بهجة الاخضرار وتفتّح الألوان والأزهار التي تطغو بجمالها ، ممسكة بعروة الحياة رغم النداءات الداخليّة التي تُقرع في نفسها ، وروح ميساء التي تفتح نافذتها وتنادي زياد/الآخر/المنفي: "***عد ... ألا تعود؟ تعال دع الصيف يزهر على يدي***"(٤٩) .

فميساء التي ظلت حبيسة انتظارين (الأب/الحبيب) غدت كالأرض التي جدبت بانتظار مغيثها ؛ لتخضرّ وتزهر ، لا سحاب يلوح لها في الأفق غير مُزن حياة تمطرها حبّاً وحناناً ، التي وقفت ضد سيل الأهل والأقارب ؛ لأجل أن تبقى الأم الرؤوم لميساء ، والقلب المخلص لغالب ، إذ رفضت عروض الزواج ، واكتفت بذكرياتها ، وسليلة حبّه (ميساء) ، التي انشطرت نصفين "***عندما دكّ الصاروخ بيت زياد وقتل أمه وأبيه وشقيقتيه الصغيرتين***"(٥٠) ، فظلّت تحمل نداءاتها لزياد ، لعلّ ريحاً حانية أو أسراباً مسترسلة تحملها إليه:" ***تعال ليتفتح الربيع المضيّع في جسدي ... عد .. أين أنت؟؟***"(٥١) ، والكاتبة في هذا المقطع كانت أشدّ اختزالاً وتكثيفاً للمعاني ، إذ حمل نسقاً مضمراً لذلك التوق بالاكتمال بين (الأنوثة/الذكورة) ، والاندماج بين (المرأة/الرجل) ، فالربيع العاطل في الجسد ، ينتظر من يرفع عن خصبه وثرائه غشاوة النأي والفراق ، ويطلق العنان للفراشات أن تدور حوله ؛ لتثمر الحياة وتنضج الأرواح على وسادات الأمل ، وميساء مذ كانت طفلةً حرص والدها أن يدغمها في الطبيعة ، ويجعلها أشد التصاقاً بالكون والكائنات من حيوانٍ أو نباتٍ فـ" ***ميساء التي***

---

(٤٨) نفسه:. ص ٣٩ .

(٤٩) نفسه. ص ٥ .

(٥٠) نفسه. ص ٨٤ .

(٥١) نفسه. ص ٥ .

علّمها أبوها مذ كانت في الرابعة أسرار الطبيعة ، جعلها تنصت لزقزقة العصافير في الصباح قبيل شروق الشمس ، أو تستمع بضجة الطيور في الآماسي عندما تعود قبائل العصافير والحمام إلى أعشاشها ساعة بزوغ القمر ، وهي ترقص أو تردد أغاريدها"[٥٢] .

وقد استعارت الكاتبة من الصور الطبيعيّة للطيور حالتين ، الأولى (الشمس/الصباح/البحث/الانتشاء/الزقزقة) والأخرى (القمر/المساء/العودة/الضجيج/التغريد) ، وكأنّها تضع خطّين موازيين للحياة ، فلا بدّ لكلّ شروقٍ من غروبٍ ، ولكلّ نأي من قربٍ ، فميساء الشابة تعيش الانتظار لذلك المهاجر ، تنتظره في الآماسي ، وتناديه بكلّ لغات العمر ، مؤمنة بقدرها الذي وطّنها غالب عليه حين كانت صغيرة وهما يغرسان حبّة التين ، يقول لها وهي تطمع بحبّات أُخر: "***لا ... أنت حصلت على نصيبك من هذه الشجرة ... وما تبقى من التين رزق العصافير والحمام"***[٥٣] ، وهذا النسق قد أفصح عن توجّه أخلاقيّ بيئيٍّ ، فعلى الإنسان ألا يستأثر بعطايا الطبيعة لنفسه فقط ، إنّما عليه أن يتعايش مع كائناتها ، حتّى تستمر القيمة الكونيّة للوجود ، فهذا التعبير رغم بساطته ، إلا أنّه يحمل فكرةً عميقة للتوازن ، ودعوة للإنصاف والعدالة ، وفي موضع آخر من الرواية تصف ميساء والدتها حياة ، وهي تجمع الحبوب إيذاناً بحياة جديدة ، " ***تغسل حفنة من حبوب القمح وتنقعها في مياه المطر الذي تجمعه في قنان مغلقة"***[٥٤] .

وحين تسألها عن هذه الحبوب ، تخبرها بأنّ: ***نصفه للأرض ، ونصفه للسماء***[٥٥] ، فحياة تنقع نصفه لطبخه طعاماً للغد ، والآخر تزرعه في اللوح المحروث ، فكما تأخذ من الأرض تعيد إليها جزءاً من غلالتها ، وجميل عطائها وخيراتها ، والكاتبة تؤكّد في هذا الحوار الفكرة السابقة في ضرورة التوازن والأخذ والعطاء لا الاستغلال والانتهاك للصورة الطبيعيّة للمكونات الكونيّة ، وهي ترى بهذا الخصب عوناً لها ، ويداً بيضاء تمدّ إليها ، فحياة" ***تتقبّل عون الطبيعة..حنو الشجرة...هبة العشب...عطايا الزهرة"***[٥٦] ، فالكاتبة نقلت صورة المثال الأخلاقيّ البيئيّ الذي هو بحدّ ذاته قيمة

---

[٥٢]) لطفية الدليميّ. ص ٢٣ ، ٢٤ .

[٥٣]) نفسه:. ص٢٤ .

[٥٤]) نفسه. ص٩١ .

[٥٥]) نفسه. ص ٩١ .

[٥٦]) لطفية الدليميّ ، حديقة حياة. ص ٨٢ .

للوجود ، وجعلت بطلتها تتألم لانتهاك هذه الصورة ، "***ستغرق المدينة في عواصف غبار أحمر ، وسينهمر رمل الصحراء المحاذية للمدن على المباني والأشجار***"[٥٧] ، فالمدينة العامرة بالاخضرار والحياة والحركة والزقزقة ، تستشرف الاحمرار والخوف وضجيج الرياح ، لتبدو عاطلة من صور الحياة الضاجّة بالأمل والحبّ والسلام ، بعد أن "***هربت أسراب الحمام والعصافير والزرازير وغابت الشحارير والبلابل***"[٥٨] ، التي لا تنسجم ، ولا تستطيع التعايش مع صفعات الرياح والغبار التي تدمر أعشاشها ، وتثقل أجنحتها ، وتسلبها حرية التحليق ، والبحث المستمر عن الحياة فوق الأغصان وفي قمم الأشجار .

الليل هو زمان العاشقين ومكانهم ، هو كونهم الذي يحمل أسرارهم ، وخبايا أرواحهم ، "***في الليل تسمع أكثر ، تتفتح الحواس لكلِّ صوت ، تسمع فيما تسمع شهقات حبّ غامضة وأغنيات تموج على أثير الطرقات في الغبار والدخان الليليّ***"[٥٩] ، كما يحمل عذاباتهم وآلامهم التي تصحو فيه ، وتبدو أكثر شراسة من النهار ، تزداد حياةُ حياةً في الليل ، تتفتح حواسها ، وتستحضر شهقات العاشقين ، والأغنيات التي تبدو مترنحة بعد أن طالها غبار الفراق ، ودخان الذكريات الليليّة التي تحرقها ، بخاصة ذكرى اللوح الذي فزعت ظنّاً منها أنّه جلبه من المتحف ، كان فيه صورة "***رجل وامرأة بينهما نخلة***"[٦٠] ، تلك النخلة التي طلبت من غالب أكثر من مرّة أن يغرسها في الحديقة ، لكنه أخبرها: إنّها تحجب ضوء الشمس عن الشجيرات الصغيرة ، لكنه وعدها أن يزرع لها واحدة ، وحلّ شبح النخلة في الذاكرة بعد أن غابت وغاب غالب أيضاً ، ولم يتبقَ من صورة اللوح إلا امرأة/حياة تحمل ذكرى الرجل والنخلة معاً ، لكنها تبدو متماسكة وهي تسند نفسها إلى الحديقة ، كونها الأخضر الصغير ، تقول: "***هذه الحديقة الصغيرة بكلِّ تواضعها تمثّل لي امتداداً للبيت والحياة ، وهي نبع ذكرياتي ، وكنز أسراري ، وواهبة البقاء ، وحين تضيق الدنيا ألوذ بها ، فتخفف عنّي وطأة أحزاني ومتاعبي***"[٦١] .

---

[٥٧]) نفسه. ص ٤١ .

[٥٨]) نفسه. ص ٤١ .

[٥٩]) نفسه. ص ٦ .

[٦٠]) نفسه. ص ٣٣ .

[٦١]) نفسه. ص ٣٣ .

وهكذا تستمر حياةُ دافعة مسيرة حيوات من حولها إلى الإمام ، فهي حين تقف أمام طالباتها الصغيرات التي تراهن كمجموعة أزهار ملونة ، أمامهن فصول كثيرة تتعاقب عليهن ربيعاً وخريفاً وبالأحوال جميعاً عليهن مواجهة برد الحياة ، كحرارة الآمال التي تلهب الأرواح ، تقول لهن: "***عندما يرتبط الاسم بضمير من الضمائر المتصلة ، فإنّ الاسم والضمير يتلازمان ، ويؤثّر أحدهما في الآخر إلى ما لا نهاية***"[٦٢] ، إذ تقدّم لهن مؤونة في فلسفة الحياة لا في اللغة فقط ، و"***عند انتهاء تصحيح الكراسات تمضي الست حياة ساعتين في العمل ، خيّاطة في مشغل (أم نور)***"[٦٣] ، فمرتبها في المدرسة التي تعمل بها مدرسة للغة العربيّة ، لا يكفي لسدّ شؤون البيت ورعايتها لميساء التي أصرّت أن تتعلم الموسيقى ، رغم معارضة أهل زوجها ؛ لتطرد السكون الذي خيم على حياتها ؛ ولكي تتألق حياتها بالألحان ، فتعوض حياة هاتين الساعتين من يومها سنوات من عزف ميساء التي بدأت بإتقان موسيقاها ، إذ "***يسود الصمت عندما تتدفق موسيقاها ، وتغمر الشجر والعشب والنفوس التي انسحرت بعذوبة عزفها***"[٦٤] ، فحتّى الأشجار والعشب يطرب مع النفوس لتلك الألحان ، التي تعلو كونيّاً بهم ، وتجعلهم على حدٍّ واحدٍ من الوجود .

وتبرز في أفلاك حياة نجمة تراوح بين الظهور والأفول ، تحاول التمسك بشيءٍ من ضوئها ، لكن الليل كان أقوى منها ، تلك النجمة (**أنيسة**) أخت (**غالب**) الشابة التي تعمل في مختبر لكشف علل الأجساد وما يتكون فيها من فوضى في الانتماء الوظيفي للأعضاء فـ"***السرطان تفشّى في كبدها وجهازها اللمفاويّ...قال أطباء البصرة أنّها تعرّضت لقدرٍ كبيرٍ من الإشعاع حين قصف المستشفى الذي تعمل في مختبره***"[٦٥] ، فتدفع أنيسة ثمن إخلاصها وحبّها لعملها في مساعدة الناس وكشف ما يحملونه من علل تثقل أجسادهم وأرواحهم ، وكلّما تقدّم بها المرض" ***تلتم وتتكور مثل طفلٍ جنينيٍّ***"[٦٦] ، كأنّها تعود إلى بذرتها الأولى ، تجلس في "***حديقة حياة تنحني أنيسة متحاملة على آلامها وتجمع أوراق التين الصفر وأوراق الكمّثرى التي اكتسبت لون الجمر واللهب ،***

[٦٢]) لطفية الدليميّ. ص ٤٢

[٦٣]) نفسه. ص ٤٣ .

[٦٤]) نفسه. ص٣١٠ .

[٦٥]) نفسه. ص ٥٣ .

[٦٦]) نفسه. ص ٥٥ .

تفرش الأوراق على منضدةٍ صغيرةٍ وتتألم"[٦٧] ، إذ تغدو روحها المحتضرة أوراقاً صُفر ذابلة كروحها وجسدها أو حُمر مشتعلة كمرضها ، فتجلس تعاني الغروب والاحتضار ، وحين تقترب منها تلك القطّة العابرة تبتعد عنها ، إذ يقال: إنّ "***الحيوانات ترى الألم لدى الإنسان...ترى شبح الموت فتهرب***[٦٨] ، تسقط عليها أشعة الشمس "***فتراها حياة بالغة الجمال في حديقتها..زهرة برتقال فوّاحة..جزء لا يتجزأ من الطبيعة المحيطة***"[٦٩] ، لكن هناك جرعة من علّة شريرة تسيطر على تلك الأنوثة الوادعة "***كأنّها ليمونة عصرت وما تبقى منها سوى القشرة***"[٧٠] ، سوى ذلك الجسد الذي رضخ لفوضى السرطان الذي عاث في روضة أنوثتها لتفوح "***برائحة تحلل الخلايا التي تتصاعد من عضو ميت ، أو شجرة تعفّنت***"[٧١] ، فتتصاعد أحزان حياة وهي تقف عاجزة عن إنقاذ هذه الزهرة أو الشجرة التي شقت الفضاء بغصونها ، لتعود إلى انكسارها ودموعها ، وحين تتراكم أحزان فوق أحزان في دربها تصفها ميساء بأنّها "***تؤدي أمّي ضريبة الدموع عن النساء منذ شطر الأبناء جسد الأمّ الكونيّة سيدة المياه المالحة (تيامات) إلى نصفين***"[٧٢] ، وما زالت الأمهات النبيلات مثقلات بالدموع المالحة التي تلهب أرواحهن حزناً وألماً ، لكن حياة لم تركن إلى حزنها فقط بل جعلت من حديقتها تلك السعادة التي تصنعها بحبّاتها وشجيراتها وأزهارها .

أمّا (**سوزان**) فتلوح في أفق حياة ، شابة تحمل تناقضات عديدة بعد أن هجرها حبيبها (**غسّان**) ، وأختها (**بوران**) التي هاجرت إلى بيروت ، وأخوها (**سنان**) أيضاً ، لتبقى وحيدة ، لا تجد ملجئاً إلا حياة وحديقتها ، فحين تأتي "***تتراقص زهور الجهنميات في نسيم الصيف على قدميها وتدور الفراشات من حولها وهي تهبط من سيارتها أمام بيت حياة***"[٧٣] ، يفوح منها عطر الثراء وفخامة الأزياء ، وتبدو شدة الأناقة الأنثوية على تفاصيلها ، إذ لم تجد ما تسد به خواء الروح ،

---

[٦٧]) نفسه. ص ٥٧ .

[٦٨]) لطفية الدليميّ ، حديقة حياة. ص ٥٨ .

[٦٩]) نفسه. ص ٥٩ .

[٧٠]) نفسه. ص ٦٢ .

[٧١]) نفسه. ص ٦٣ .

[٧٢]) نفسه. ص٩٠ .

[٧٣]) نفسه. ص ١٠٣ .

فالتفت نحو الجسد ، تشغل نفسها بالألوان والأصباغ والعطور ، لكنها تقع فريسة لـ(**عبد المقصود الغنّام**) الذي يسعى في إذلالها وكسر كبرياء جمالها ، فتغدو كغصن وحيد في مواجهة رياح عاصفة غير واضحة النوايا ، فتشكو لحياة ما يثقلها ، والأخرى تقدم لها النصيحة والأمان ، وتظل (**أم توماس**) النديمة التي هجرها ابنها أيضاً ، لتجمع وحدتها مع وحدة سوزان ، تعتني بها كابنتها بعد أن ترى شحوب التقويم الأنثويّ عليها ، فتحضر لها مغلي الأعشاب ، إذ "***تعرف أم توماس تقاويم جسد المرأة...وسطوة القمر..وتعرف كيف يرتفع مد الدم الأنثويّ ، وينحسر بفعل اكتمال القمر ، أو تبدله قي منازله***"[٧٤] ، لكن ذلك لم يكن شفيعاً جيداً لقناعة سوزان بأنّها أنثى ، فتسعى إلى إجراء عملية تحوّل ، كردّة فعلٍ لما ضيعته من مزايا الأنوثة ، وسخط الرجل تارةً وتضييعه تارة أخرى .

وهكذا تتكاثر النساء الوحيدات من حول حياة ، كل واحدة منهن هي كون صغير يتفرع في همومه وأحزانه ، وهي ترى أنّ" ***النساء الوحيدات يبكين بمرارة لأنّهن يعرفن أن طعم الوحدة سيدوم العمر كله ، وسيحملن وطأته ، ولن يعوضهن الفرار ألفة أو رفقة حياة***"[٧٥] ، فسوزان حتى وإن تخلّت عن هويتها الأنثويّة ، فستظلُّ مرارة الفقد تلاحقها ، وألم الوحدة لن يزول ، وربّما يتضاعف ويتناسل أكثر .

وفي اللحظة التي يقرر فيها غسّان أن يقيم معرضاً للصور الفوتغرافيّة ، ينفرج الغياب عن سرٍّ حملته حياة وحديقتها ، وبعد أن يرفض سوزان عروض باستئجار قاعة فخمة ، تضع أمامه خيار حديقة حياة ، التي وافقت على إعارة حديقتها للمعرض ، وهو الآخر رحب بذلك كثيراً ، على أن يتخلل الحفل ألحان من عزف ميساء ، فتتكامل الجلسة بالحضور الإنسانيّ ، والحديقة الزاهية بأطيافها من الشجيرات والزهور التي ستطرب لموسيقى ميساء ، يضع صوره ويبدأ الحضور بتصفح اللقطات والوجوه ، تسرح حياة في مطالعة الصور فتلوح لها" ***الندبة الصغيرة عند طرف الحاجب الأيسر والخال الصغير عند الصدغ ، فيشحب وجهها وتغيم عيناها وتترنح قبل أن تهوي إلى الأرض***"[٧٦] ، علامات غالب تلوح لها رغم ما حلّ به ، وأصبح متشرداً في أزقة بغداد ، تصرخ بعد أن يجتمعوا حولها:" ***لقد أحسست منذ الأمس ، كان قريباً منّي.. وارتبكت روحي واضطرب***

---

[٧٤]) لطفية الدليميّ حديقة حياة. ص ١٤٢ .

[٧٥]) نفسه. ص ٧٧ .

[٧٦]) نفسه. ص٣١٠ .

فؤادي"[٧٧] ، لتعيدنا نحو فكرة متقدّمة من القصّ بأنّ " ***لا الساعات ولا التقاويم ولا المنبّهات الرّنّانة قادرة على قياس الوقت ، وتحديد مادة الزمن ، قلبها وحده ، قلب المرأة هو الذي يحسب الزمان على وفق إيقاعٍ خاصٍّ لا تدركه الآلات ولا روزنامات القرون الجديدة"***[٧٨] ، فقلب الأنثى هو دليلها ، وخارطة أيامها ، ووقع حياتها.

لتختم الكاتبة روايتها بأفقٍ مفتوحٍ للمتلقي ، فهل ستجد حياة حياتها المغيبة في غالب؟؟ أم أنّها ستعيش مرارة الفقد ثانية لكن بطعمٍ آخر؟؟ ، ويظلّ الاحتمالان مفتوحان للحالة النفسيّة للمتلقي ، هل سيُلقي بأمله فتجده ، أم بألمه فتفقده ، وبهذا تُصوّر أطوار حياة مع حديقتها: حياة (المحبّة ، والزوجة ، والأم ، والمغيّبة ، والمنكسرة ، والمتماهية) ، ولم تفارق أمومتها الحانية في كلِّ أطوارها ، كانت مسؤولية الأم تدفعها نحو الأمام رغم تعلقها بالماضي ، فهي تسحبه معها ، من دون أن تتوقف عنده ، فهي كما تقول ابنتها ميساء:" ***أم تصلح أن تكون أمّاً كونيّة للبشر والأشياء والطبيعة والمياه والتراب"***[٧٩] كتيامات ، حاملة لخصب الأرض ، وإرث الحياة ، وتجدر الإشارة إلى أن الرواية قد حملت مظاهر الألوان التي عبّرت عن أنساق معنويّة مكثّفة ، فـ(الأسود يوازي الظلمة ، والليل ، والحزن ، والفقد) ، و(الأحمر يوازي الإغواء ، والقوّة ، والدم) ، و(الأخضر يوازي الحياة ، والحبّ ، والطمأنينة ، والأمل) ، و(الأصفر يوازي المرض ، والذبول ، والموت) ، وبهذا تكون الرواية قد حملت رسالة جماليّة وأخلاقيّة نحو المرأة والطبيعة في سفر الحياة والكون الفسيح ، فيغدو النصّ البيئي نصّاً يتعامل مع الإنسان ، بوصفه جزءاً من البيئة ، لا بوصفه منعزلاً عنها أو متفرجاً عليها ، إذ أذاب النصّ البيئيّ البيئة في الإنسان الذي أصبح مفردة من مفرداتها[٨٠].

---

[٧٧]) نفسه. ص ٣١٣ .

[٧٨]) نفسه. ص١٠ .

[٧٩]) لطفية الدليميّ ، حديقة حياة. ص ٨٣ .

[٨٠]) ظ: محمّد أبو الفضل بدران ، النقد الأدبيّ البيئيّ. ص ٦٣ .

الخاتمة

لقد قدّم البحث دراسةً رائدةً في مجال النقد البيئيّ في ضوء نسق النسويّة البيئيّة ، وهو دراسة تهدف إلى تقديم قراءة نقديّة معاصرة ، لا تقف عن حدود الكشف عن مزايا الأدب الشعريّة ، فلم تعد الآداب بعامّةٍ والرواية بخاصّةٍ وثيقة جماليّة فقط ، بل عدّت وثائق جماليّة وأخلاقيّة في الوقت ذاته ، تسعى إلى إعادة قراءة القيم والمُثُل الخاصة بالكون ، وسلم البحث إلى النتائج الآتية:

١. إنّ الدراسات الثقافيّة أصبحت الحاضنة المعرفيّة لقضايا محوريّة في حياة الشعوب والأمم ، لا من ناحية لغاتها وآدابها ، بل ومن ناحية اجتماعيتها وثقافاتها وتوجهاتها المختلفة وقيمها التي تحملها .

٢. إنّ النقدين النسويّ والبيئيّ يعدان دراستين ثقافيّين معاصرتين ، بدأتا مع التيارات العالميّة المناصرة للفئات التي تمت مصادرة حقوقها وتهميشها وإقصائها ، كتيارات ما بعد الاستعمار .

٣. حمل النقد النسويّ همّاً نسويّاً يسعى إلى تحقيق الهوية الأنثويّة وإعادة قيم الأمومة ، بعد هيمنة السلطة الذكوريّة ، وسيطرة الأبويّة على مقدرات المرأة وإخضاعها لمصالح الرجل .

٤. انبرى النقد البيئيّ أيضاً لكشف الانحراف الذي مُنيت به الطبيعة بمكوناتها المختلفة ، وتمّ استغلالها بطريقة بشعة ، تُنذر بخطرٍ كونيٍّ للموجودات جميعاً ، وسعى إلى تقديم قراءات ثقافيّة عن زعزعة الأساسات التي حصلت ، والتي أسهمت في رفع الفئة المهيمنة ووضع السرديّات التي تبرر هيمنتها ، وتقرّ بفوقيتها ، وإقصاء الفئات الأُخر .

٥. برزت النسويّة البيئيّة بكونها نسقاً ثقافيّاً مركباً يحمل هموم قضيتين (المرأة/الطبيعة) ، وقد مرّت بثلاثة أطوار (التأسيس ، والتكوين ، والنظرية) ، لتقدّم قراءة نقديّة جديدة تواكب الأحداث المعاصرة ، وانفتاح الثقافات العالميّة .

٦. حملت رواية حديقة حياة أنساقاً نسويّة بيئيّة واضحة ، لم تقف عن الحدود الطبيعيّة ، بل تجاوزتها إلى الحدود الفلسفيّة ، من ناحية تناول فلسفة الإنسان والموجودات وكيف يشكلون جميعاً همّاً كونيّاً موحداً ، وقد مارست بطلة الرواية (حياة) ، وحديقتها ، الأثر الأبرز والمحور الأظهر في تقديم الشخصيات وإدارة الأحداث وتراتبها ، لتقدّم قراءة وجوديّة تعزّز الوعي الكونيّ .

مظان البحث

أوّلاً.المصادر والمراجع:

١. ابن منظور (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، ط٣ ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

٢. جرج جيرارد ، النقد البيئويّ ، ترجمة: عزيز صبحي جابر ، مشروع كلمة ، ط١ ، أبو ظبي ، ٢٠٠٩م.

٣. حفناوي بعلي ، مدخل إلى نظرية النقد الثقافيّ المقارن ، الدار العربيّة للعلوم ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

٤. زكريا إبراهيم ، مشكلات فلسفيّة (مشكلة البنية أو أضواء على البنيويّة) ، مكتبة مصر ، القاهرة .

٥. زيودين ساردار ، وبورين فان لو ، أقدم لك: الدراسات الثقافيّة ، ترجمة: وفاء عبد القادر ، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام ، المشروع القوميّ للترجمة ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

٦. سارة جامبل ، النسويّة وما بعد النسويّة ، ترجمة: أحمد الشاميّ ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

٧. سمير الخليل ، دليل مصطلحات الدراسات الثقافيّة والنقد الثقافيّ ، مراجعة: سمير الشيخ ، دار الكتب العلميّة ، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٦م .

٨. سوزان ألس ، ومريزا رويدا ، ومارتا رودريجوز ، أقدم لك: الحركة النسويّة ، ترجمة: جمال الجزيريّ ، المشروع القوميّ للترجمة ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .

٩. شارلين ناجي هيسي ، وبابير ، وباتريشا لينا ليفي ، مدخل إلى البحث النسويّ (ممارسة وتطبيقاً) ، ترجمة: هالة كمال ، المركز القوميّ للترجمة ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٥م .

١٠. عادل رفقي عوض ، المرأة وحماية البيئة ، دار الشروق ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٥م .

١١. عبد الغني عماد ، سوسيولوجيا الثقافة (المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة) ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٦م .

١٣. كامل جاسم المراياتيّ ، مقدِّمة في علم التبيؤ البشريّ ، عالم الحكمة ، ط٢ ، بغداد ، ٢٠٠٩م .

١٤. كريس باركر ، معجم الدراسات الثقافيّة ، ترجمة: جمال بلقاسم ، دار رؤية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٨م .

١٥. لطفية الدليميّ ، حديقة حياة ، دار الشؤون الثقافيّة العامّة ، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٤م .

١٦. لقاء موسى الساعديّ ، تجلياتهن (ببلوغرافيا الرواية النسويّة العراقيّة ، مع دراسة في المضامين والأشكال الفنيّة (١٩٥٣م ـ ٢٠١٦م) ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٦م.

١٧. مايكل زيمرمان ، الفلسفة البيئيّة (من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذريّة) ، ترجمة: معين شفيق رومية ، عالم المعرفة ، ط١ ، الكويت ، ٢٠٠٦م .

١٨. محمّد أبو الفضل بدران ، النقد الأدبيّ البيئيّ (النظرية والتطبيق) ، إدارة الثقافة الإسلاميّة ، الكويت ، ط١ ، ٢٠١٠م .

١٩. هدى حسين الشيبانيّ ، رواية المرأة العربيّة من (١٩٩٠ -٢٠٠٧م) في ضوء النقد النسويّ ، دار الشؤون الثقافيّة العامّة ، ط١ ، بغداد ، ٢٠١٣م .

ثانياً. مواقع الانترنت:

١. غريتا غارد ، ولوري غروين ، النسويّة الإيكولوجيّة (نحو عدالة عالميّة وصحة كوكبيّة) ، ترجمة: عزّة حسّون ، مجلة الطبيعة والمجتمع: http://musawasyr.org .

٢. ويكيبيديا (الموسوعة الحرّة): (وانجاري ماثاي)